تاريخ وحضارة بلاد المغرب والأندلس

ثالثا: مرحلة التوغل واستكمال الفتح

محاضرة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

د. بودانة وليد– جامعة خميس مليانة

2020

قائمة المحتويات

I-ثالثا : مرحلة التوغل واستكمال الفتح 5

آ. 01- ولاية أبو المهاجر دينار..... 5

1. تقييم لدور أبي المهاجر..... 6

ب. 02- الولاية الثانية لعقبة بن نافع..... 6

پ. 03- حملة زهير بن قيس البلوي..... 7

ت. 04- فتوحات حسان بن النعمان..... 7

ث. فتوحات موسى بن النصير..... 8

ثالثا : مرحلة التوغل واستكمال الفتح

01- ولاية أبو المهاجر دينار 5
02- الولاية الثانية لعقبة بن نافع 6
03- حملة زهير بن قيس البلوي 7
04- فتوحات حسان بن النعمان 7
فتوحات موسى بن النصير 8

أ. 01- ولاية أبو المهاجر دينار

كان هذا الفاتح أقل قادة الفتوح ذكراً في المصادر حيث لا نجد فيها شيئا عن حياة أبي المهاجر دينار الأولى، وكل ما يُعرف عنه أنه كان مولى مسلمة بن مخلد فأعتقه هذا الأخير وولاه إفريقية ابتداءً من سنة 55هـ إلى غاية 62هـ.، وربما يعود السبب في عدم تركيز المصادر على حياة أبي المهاجر وفترة ولايته إلى أن فترة قيادته جاءت فاصلة لولايتي عقبة الأولى والثانية فركزت على هذا الأخير وأهملت أبا المهاجر، وكذلك ربما تعمد المؤرخين إغفاله لما نزل بعقبة على يديه.

تذكر المصادر أن أبا المهاجر لم ينزل بالقيروان إنما نزل مدينة تبعد عنها بميلين يذكر النويري أنه اختطها وسماها تكيروان في حين يقول المالكي أنه نزل بدكرور مدينة البربر، ولعل الرأي الأخير هو الأصح لأن اختطاط مدينة جديدة يتطلب وقتا طويلا، كما ذكر المالكي أن أبا المهاجر حينما اتجه إلى تلمسان لم يستخلف أحداً وهو ما يؤيد الرأي القائل بأنه نزل بمدينة دكرور حيث أنها مدينة بربرية فلا مجال لحراستها و ترك حامية بها في حين لو كانت مدينة حديثة البناء لترك بها من يحميها.

بالغت المصادر عما فعله أبو المهاجر بمدينة القيروان، فلو كان قد هدمها وخرب دورها لاستغرق عقبة في ولايته الثانية وقتا طويلا لإعادة تجديدها، ولا تحدثنا المصادر أنه أنفق هذا الوقت الطويل في ذلك، ويمكن القول أن أبا المهاجر أمر بهجر القيروان وإفراغها.

قام أبو المهاجر من قاعدته بنشاط ملحوظ ضد الروم في قرطاجنة وضد البرانس الذين كانت زعامتهم في هذه الفترة بيد أمير قبيل أوربة كسيلة بن لمزم، وقد كان عامة البربر يكرهون التواجد البيزنطي ببلادهم على اعتبار أنه نفوذ أجنبي، كما كان يبغضه نصارى البربر نظراً للسياسة الدينية المخالفة لمذهبهم، لكن سياسة التسامح الديني التي انتهجها الإمبراطور قسطنطين الرابع واهتمامه بإفريقية جعلت البربر يميلون إلى التحالف مع الروم ويرضون بمعونتها، فجمع كسيلة جيشا من البربر للتصدي للعرب.

لم تذكر المصادر وقوع حرب كبيرة بين الطرفين ويبدوا أن كسيلة قد وقع في الأسر فاستلطفه أبو المهاجر واستماله إلى الإسلام، وبذلك أتم أبو المهاجر حملته على تلمسان حيث حفر بها عيونا عرفت باسمه (عيون أبي المهاجر)، ومنها وجه حسين بن عبد الله الصنهاجي إلى جزيرة شريك فافتتحها وراسل أبا المهاجر يعلمه بذلك فانصرف إليه، وهناك من يشير إلى أن أبا المهاجر صالح أهل قرطاجنة قبل أن يغادرها.

يُعد فتح جزيرة شريك نقطة مهمة في فتوح أبي المهاجر، ولا يعود ذلك لأهمية الجزيرة إنما لكون فاتحها قائداً بربريا من قبيلة صنهاجة (حسين بن عبد الله الصنهاجي).

بعد ذلك عاد أبو المهاجر إلى قاعدته (تاكيروان أو دكرور) حتى عُزل سنة 62هـ في فترة الخليفة يزيد بن معاوية.

1. تقييم لدور أبي المهاجر

إن نظرة عادلة لسياسة القائد تقودنا إلى حتما إلى الاعتراف بأهمية دوره في تقدم حركة الفتح في المغرب الأوسط ونشر الإسلام بين أهله، حيث تذكر المصادر أنه كان أول قائد وطئت خيله هذه البلاد (المغرب الأوسط) كما كان لسياسته السمحة تأثير كبير في نفوس البربر.

ب. 02- الولاية الثانية لعقبة بن نافع

تولى يزيد بن معاوية الخلافة سنة 60 هـ وقام سنة 62هـ بإعادة عقبة بن نافع إلى ولاية إفريقية، وبدأ الأخير ولايته بالاقتصاص من أبي المهاجر فقبض عليه وقام بتوثيقه وأخذه معه أثناء خروجه للغزو، كما أنه لم يعط كسيلة تلك المكانة التي كانت له في زمن أبي المهاجر، بل إن بعض المصادر تذكر أنه قام بتصفيده أيضا وإهانته ويذكر المالكي أن ابا المهاجر نصح عقبة بخصوص كسيلة فقال: "ما هذا الذي صنعت؟ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف جبابرة العرب كالأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن، وأنت تجيء إلى رجل هو خيار قومه في دار عزه قريب عهد بالكفر فتفسد قلبه ! توثق من الرجل فإني أخاف فتكه" غير أن عقبة لم يأبه بكلامه.

سارع عقبة كذلك لإعادة الناس إلى القيروان وأعاد تجديدها وإعمارها ثم خرج على رأس جيش لغزو بلاد المغرب مستخلفا على القيروان زهير بن قيس البلوي.

اتجه عقبة بداية إلى مدينة باغاية بجبال الأوراس والتحم مع حاميتها الرومية والبربر في تلك الناحية ودفعهم إلى التحصن في حصونهم وداخل المدينة، فلم يقم بحصارهم واتجه إلى إقليم الزاب وعسكر قرب أذنة وتمكن من هزيمة الروم ومن معهم من البربر وألجأهم إلى الحصون. ثم اتجه بعد ذلك إلى نواحي نهر الشلف حيث تتمركز قبيلة برفجانة أين واجهته قوات كثيرة من البربر والروم.

بعد ذلك توجه عقبة إلى السوس الأدنى وعاصمته طنجة فقابله حاكمها الذي تسميه المصادر بيوليان حيث هادنه وقدم له الهدايا واستفهم منه عقبة عن حال الأندلس فعظمها عليه، فتوجه عقبة إلى السوس الأقصى وبها مضارب أهل اللثام من بطون قبيلة صنهاجة وواصل حتى بلغ المحيط الأطلسي وقد بنى عقبة بهذه المناطق عدة مساجد لنشر الإسلام.

وفي طريق عودته عمل عقبة على نشر الإسلام بين عدة قبائل مغربية (حاحة، رجراجة، صودة) وترك بين البربر واحداً من أصحابه يعلمهم تعاليم الدين الحنيف. وفي مضارب دكالة (فرع من صمودة) عانى عقبة من عدة صعوبات، وقتل كثير من أصحابه بعد أن رفضت هذه القبيلة الإسلام، ويشير ابن خلدون أن مصمودة حاصرت عقبة وجيشه فهبت قبائل زناتة لفك الحصار عنه.

بعد ذلك لم تصادف عقبة متاعب كثيرة حتى وصل مدينة طبنة (بريكة حاليا) فأمر جيشه بمواصلة المسير إلى القيروان (بينهما حوالي 8 أيام) وبقي هو في عدد قليل من الفرسان يريد تصفية بعض قلاع الروم، ولما رأى هؤلاء قلة جيش عقبة طمعوا فيه وراسلوا كسيلة قائد البربر الذي لم يتوان في الثأر لكرامته والانتقام من عقبة الذي استشهد مع أصحابه بما فيهم أبو المهاجر، وذلك سنة 64هـ/ 683م بمنطقة تهودة والمعروفة حاليا بسيدي عقبة جنوب مدينة بسكرة.

تذكر بعض الروايات (السلاوي صاحب كتاب الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، وابن خلدون في كتاب العبر) أن بعض أصحاب عقبة وقعوا في أسر كسيلة مثل يزيد بن خلف العبسي ومحمد بن أوس الأنصاري، فتدخل صاحب قفصة المسلم (ابن مصاد) لدى كسيلة حتى قبل الفدية فيهم وأرسلهم إلى القيروان.

أثرت هذه الحادثة على معنويات المسلمين في إفريقية ودفعتهم إلى الانسحاب نحو المشرق في حين بقي زهير بن قيس البلوي في برقة ولم يبق بالقيروان إلا قلة من المسلمين ودخلها كسيلة حيث ظل حاكما بها مدة خمس سنوات وأعطى الأمان للمسلمين.

أساسي: بين كسيلة وعقبة

- بعد عودة عقبة إلى ولاية القيروان قام بإهانة أبي المهاجر انتقاما منه، كما أهان كسيلة وقلل من شأنه نظراً لعلاقته بأبي المهاجر غير أن المصادر تبالغ في مقدار هذه الإهانة (قصة أمره بذبح الشاة) وأن عقبة قام بسجنه أيضا.
- لعل أبرز ما يمكن قوله في العلاقة بين الرجلين أن عقبة قلل من شأن كسيلة ومن ورائه البربر ولم يعطه تلك المكانة التي كانت له في زمن أبي المهاجر، ولم يبالغ في إهانته وتصفيده كما تذكر المصادر ذلك أن كسيلة استطاع الفرار من معسكر عقبة بسهولة وحتى دون أن يشعر هذا الأخير، كما أن عقبة لم يهتم كثيراً بأمر فراره ولو كان قد أهانه حقا لأخذ احتياطاته أثناء عودته ولم يبق مع عدد قليل من جنده.
- لم تشر أغلب مصادر الفتح إلى أن كسيلة قد ارتد عن الإسلام، ولعل ما يعزز رأي بقائه مسلما معاملته لأهل القيروان والمسلمين ببلاد المغرب عامة، وعدم مساسه بالآثار الدينية بالقيروان.

ب. 03- حملة زهير بن قيس البلوي

بعد حادثة تهودة مكث كسيلة حاكما بالقيروان مدة خمس سنوات، وقد عرفت هذه الفترة انشغال الأمويين بأحداث المشرق لذلك لم يرسلوا جيشا للثأر لعقبة، حيث توفي الخليفة يزيد بن معاوية بعد فترة قصيرة من معركة تهودة ولم تطل فترة حكم خليفته معاوية الثاني حيث سلم الخلافة بعد ثلاثة أشهر إلى مروان بن الحكم الذي انشغل بالحروب بين القيسية والكلبية، وعرف عهد خليفته عبد الملك بن مروان مشاكل بين الشيعة والخوارج إضافة إلى ثورة الزبيريين.

عندما استقرت أمور الخلافة تم تعيين زهير بن قيس البلوي واليا على إفريقية فتوجه إليها بجيش قدره المالكي ب6 آلاف رجل منهم ألفين من البربر والباقي من العرب. حيث زحف زهير بجيشه تجاه القيروان وعسكر قربها، في حين خرج كسيلة بجيشه من هذه المدينة إلى قرية سبيبة قرب وادي ممس.

بنى كسيلة استراتيجيته لملاقاة المسلمين على نقطتين: 01/ إخلاء القيروان كونها غير محصنة تحصينا جيداً وبها عدد من المسلمين يخاف من انقلابهم عليه.

2/ اختيار مكان ملائم للمعركة بحيث يمكنه تتبع المسلمين إذا انتصر أو التحصن بالجبال إذا انهزم.

التقى الطرفان في معركة شديدة انتهت بمقتل كسيلة وانهزام جموعه، وتذكر المصادر أن جيش زهير تتبع فلول المنهزمين إلى غاية واد ملوية وهو أمر مستبعد نظراً لبعده عن مكان المعركة. دخل زهير بعدها القيروان وأصلح أمورها ثم قفل عائداً إلى المشرق وترك حامية بالقيروان لحمايتها ولم تشر النصوص إلى أنه خلف نائبا عنه بالمدينة.

برر المؤرخون سبب عودة زهير المسرعة بكونه شخصية زاهدة يحب البساطة في العيش ويبتعد عن زينة الدنيا، غير أن هذا التبرير فيه قول خاصة إذا علمنا أن إفريقية في هذه الفترة لم تعد أرض رفاهية في العيش بل أرضا مضطربة تسودها الصراعات، ولربما جاء انسحابه من القيروان كونه رأى أن مهمته التي جاء من أجلها انتهت بمقتل كسيلة.

وعموما نقول بأن زهيراً قد ارتكب خطأ استراتيجيا كبيراً بعودته مسرعا من القيروان حيث ترك بها فراغا سياسيا أدى إلى نشوب الفوضى والفتن.

أثناء عودته بلغ زهيراً أن الروم قد أغاروا على برقة فتقدم بسرعة مع نفر يسير من جيشه في حين بقي أغلب الجيش يسير سيراً عاديا. ولما وصل وجد أن قوة الروم أكبر مما كان يتوقع كما أنهم أسروا عدداً كبيراً من المسلمين أخذوا يستغيثونه بمجرد أن رأوه، فما كان منه إلا أن دخل مع الروم في معركة غير متكافئة انتهت باستشهاده ومن معه.

ت. 04- فتوحات حسان بن النعمان

قام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة 74هـ/ 693م بتولية حسان بن النعمان بلاد المغرب وامره بمواصلة الفتوح فيها، فبدأ حملته سنة76هـ/ 695م في جيش ضخم قوامه حوالي أربعين ألف جندي فلما وصل القيروان سأل عن أعظم ملك بإفريقية فقيل له أنه صاحب قرطاجنة فتوجه إليها وهزم من بها من الروم وترك فيها حامية صغيرة.

عاد حسان بعد ذلك إلى القيروان ليستعد لجولة جديدة من الفتوح ضد امرأة بربرية تدعى الكاهنة كانت على رأس قبيلة جراوة الزناتية، حيث سأل أهل القيروان عن أعظم من بقي من ملوك إفريقية، فقيل له أنها ملكة من البربر تدعى الكاهنة "فإن قتلتها دان لك المغرب كله ولم يبق لك مضاد ولا معاند"، فخرج إليها حسان والتقى الطرفان عند وادي مسكيانة في معركة انتهت بهزيمة حسان وأسر ثمانين رجلا من جنوده أطلقتهم جميعا فيما بعد عدا خالد بن يزيد الذي اتخذته ولداً لها.

لاحقت الكاهنة جيش المسلمين المنهزم حتى أخرجته من إقليم طرابلس أين استقر حسان بجيشه في عمل برقة حيث مكث خمس سنوات يستطلع أخبار المغرب ويعيد تجهيز جيشه وينتظر مدد الخلافة كما قام خلال هذه الفترة ببناء قصور عرفت بقصور حسان.

وفي المقابل ملكت الكاهنة بلاد المغرب مدة خمس سنين ارتكبت فيها خطأً جسيما حين قامت بتخريب البلاد ظنا منها أن المسلمين إنما قصدوا المنطقة من أجل خيراتها فقط حيث ينقل ابن عذارى قولها للبربر: "إن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن إنما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلا خراب بلاد إفريقية كلها حتى ييأس منها العرب، فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر"، حيث تضرر البربر من سياستها هذه ما جعلهم يتذمرون منها ويغيرون ولاءهم لحسان.

في سنة 81هـ/ 700م تحرك حسان إلى بلاد المغرب ثانية بعد أن وصله المدد وأتم تجهيز جيشه فلقيته الكاهنة عند مدينة قابس في معركة انتهت بهزيمتها وفرارها مع من بقي معها من الجند إلى قلعة بُشر للتحصن بها غير أنها وجدتها مخربة فانتقلت إلى جبال الأوراس وفيها كانت المعركة الثانية مع حسان، وقد

تنبأت الكاهنة قبل المعركة انها ستهزم وتقتل فأوصت أولادها بالدخول في الإسلام وطلبت من خالد بن يزيد التوسط لهم لدى حسان، في حين أصرت هي على الموت على كفرها وقد قتلت عند بئر عرفت ببئر الكاهنة.

بموت الكاهنة خضعت بلاد المغرب لحسان وطلب منه البربر الأمان فاشترط عليهم أن يمدوه من قبائلهم باثني عشر ألف فارس، وأعطى لولدي الكاهنة قيادة ستة آلاف فارس لكل منهما يجاهدون مع المسلمين لإكمال فتح المنطقة، أما هو فقد انصرف إلى القيروان وتفرغ لتنظيم الشؤون الإدارية والمالية والعمرانية.

وبعد حوالي عشر سنوات قضاها حسان في بلاد المغرب فاتحا ومنظما لشؤونها تم عزله من طرف عبد العزيز بن مروان والي مصر لخلافات بينهما.

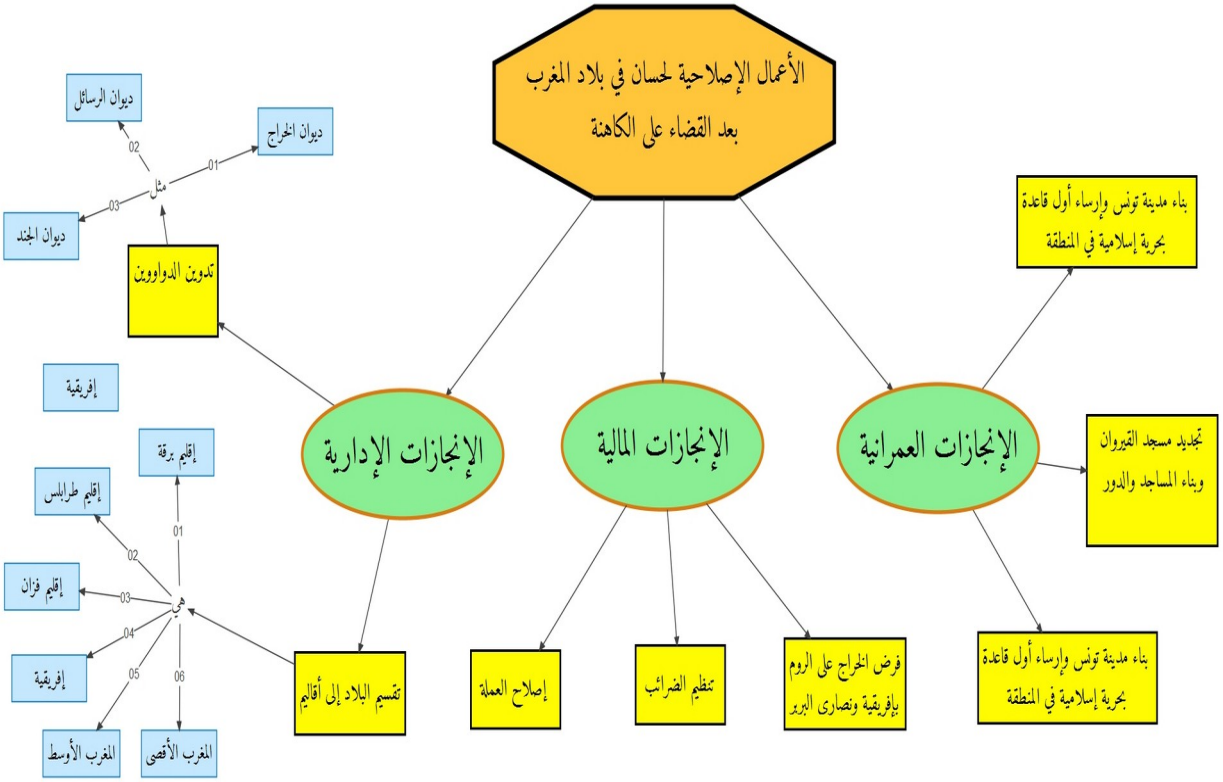

ث. فتوحات موسى بن النصير

تقلد موسى بن النصير عدة مناصب في الدولة الاموية، وقد ظل وفيا لولي مصر عبد العزيز بن مروان الذي عينه واليا على إفريقية، فاستهل ولايته بفتح قلعة زغوان الواقعة جنوب غرب مدينة تونس، ثم واصل مسيره غربا وأخضع باقي قبائل المغربين الأوسط والأقصى لسلطته، وفتح طنجة وعين عليها طارق بن زياد، في حين استعصت عليه مدينة سبتة لمناعتها.

وبهذا تمكن المسلمون من اخضاع بلاد المغرب كاملة لسيطرتهم، لينشغل موسى بن النصير بعدها ببناء الأسطول البحري وغزو الجزر القريبة والاستعداد لفتح الأندلس.